



العزوف عن الشعر في عصر الترفيه

أحمد القاري

حضرت البارحة أمسية شعرية ماتعة لشاعر متعمق من زمام الشعر، ممسك بلجام البلاغة، ولم يسرني عدد الجمهور أبداً.. في زمن تتعالى فيه أصوات الجماهير في الملاعب، وتزدحم فيه الشاشات بالمبارات، نجد المنابر الأدبية التي كانت يوماً منارة الفكر وسراة الإبداع، قد خفّت بريقها وتراجع حضورها.

الأندية الرياضية تشهد إقبالاً منقطع النظير، والاشتراكات تُدفع بسخاءً لمتابعة المباريات والبرامج التحليلية، بينما الأمسيات الشعرية والملتقيات الأدبية لا يحضرها إلا نفر قليل من المغارف والمحبين والمعتمدين، في مشهدٍ يُحزن الشعراء والشاعرات، ويكسر خواطر الأدباء الذين نذروا أقلامهم لخدمة الكلمة الجميلة.

كان الشعر يوماً لسان الأمة ووجانها، به تُروى المآثر وتُخلد البطولات، ومن خلاله تُرثى الذائقة وُتُصان اللغة.

أما اليوم، فقد غلت ثقافة اللهو على ثقافة الفكر، وصار كثيرون من شبابنا يحفظون أسماء اللاعبين أكثر مما يُعرف من الشعراء، ويتابع اللقطات الرياضية أكثر مما يقرأ من أبيات أو مقالات.

إن هذا التحول لا يُشير إلى تطّورٍ بقدر ما يُنذر بانفصال عن الجذور، وانصرافٍ عن منابع الوعي التي شكلت هُوية العرب قروناً طويلاً.

لقد غيرت التطبيقات الحديثة ذائقـة الإنسان قبل عاداته، فصار الانتقال بين المقطـع لا يتجاوز ثوانٍ معدودـة، وأصبح الصبر على المشاهدة الطويلة أو الاستماع المتأني أمراً شاقـاً.. هذه "السرعة الذهنية" التي فرضتها وسائل التواصل أضعفت قدرة الجيل على الإصـاغـة والتذوقـ، حتى باتت الأمسية الشعرية - التي كانت تلهم النـفـوس - تبدو عند بعضـهم كحدـث مـعـلـلاً لا يـحـلـمـ بالـجـلـوسـ لهـ.

وهـنا تـكـمـنـ الكـارـثـةـ الحـقـيقـيـةـ: أـنـ تـفـقـدـ العـقـولـ شـهـيـتهاـ لـلـجـمـالـ الـراـقـيـ، وـتـسـبـدـلـهـ بـلـمـعـانـ زـائـفـ لـاـ يـفـدـيـ الـرـوـحـ وـلـاـ يـثـرـيـ الـفـكـرـ.

إنـ الشـعـرـ وـالـأـدـبـ لـيـسـ زـيـنـاـ لـغـوـيـةـ وـلـاـ هـوـاـيـةـ نـحـوبـيـةـ، بلـ هـمـ ذـاـكـرـةـ الـأـمـمـ وـلـسـانـهاـ وـضـمـيرـهاـ.

بـهـمـاـ تـبـنـىـ الشـخـصـيـةـ الـوـاعـيـةـ، وـيـتـرـبـىـ الـذـوـقـ، وـتـصـفـىـ الـرـوـحـ مـنـ غـبـارـ الـمـادـيـةـ.

وـإـنـ أـمـةـ يـبـهـتـ فـيـهاـ صـوتـ الشـعـرـاءـ، تـصـابـ بـفـقـرـ روـحـيـ لـاـ يـعـوـضـ، لـأـنـ الـأـدـبـ هـوـ الـذـيـ يـمـنـهـاـ الـوعـيـ وـالـسـمـوـ وـالـرـؤـيـةـ الـعـمـيـقـةـ لـلـحـيـاةـ.

أـيـهـاـ الـفـتـيـانـ وـالـفـتـيـةـ.. أـنـتـمـ يـاـ شـبـابـناـ قـادـةـ الـغـدـ وـضـلـاعـ الـمـسـتـقـبـلـ، أـعـطـيـاـ لـلـكـلـمـةـ مـكـانـهاـ، وـلـلـأـدـبـ وـقـتـهـ، وـلـلـشـعـرـ فـرـصـةـ أـنـ يـنـيرـ عـقـولـكـمـ. اـحـضـرـوـاـ الـأـمـسـيـاتـ وـالـمـنـتـدـيـاتـ، وـاسـتـمـعـوـاـ لـلـشـعـرـاءـ كـمـاـ تـسـمـعـوـنـ لـلـمـعـلـقـيـنـ الـرـياـضـيـيـنـ، فـهـؤـلـاءـ يـغـدـوـنـ الـأـذـنـ، وـأـوـلـئـكـ يـغـدـوـنـ الـعـقـلـ وـالـوـجـدانـ.

اجـعـلـوـاـ لـأـنـفـسـكـمـ مـقـعـداـ فـيـ مـجـالـسـ الـفـكـرـ، فـهـنـاكـ تـولـدـ الـأـفـكـارـ، وـتـصـلـ الـمـوـاهـبـ، وـتـبـنـىـ الشـخـصـيـةـ الـقـارـائـةـ الـوـاعـيـةـ.

إنـ حـضـورـكـمـ لـتـلـكـ الـمـعـاـدـلـ تـقـدـيرـ لـلـشـاعـرـ، وـتـكـرـيـمـ لـلـعـرـبـيـةـ، وـلـلـذـائـقـةـ الـتـيـ كـادـتـ تـذـلـلـ فـيـ زـمـنـ الـلـهـوـ الـعـابـرـ.

تـوـجـوـاـ عـقـولـكـمـ بـالـثـقـافـةـ قـبـلـ أـنـ تـتـخـمـوـاـ أـعـيـنـكـمـ بـالـتـرـفـيـهـ، وـتـذـكـرـوـاـ أـنـ الـمـتـعـةـ تـزـوـلـ، أـمـاـ الـكـلـمـةـ فـتـبـقـىـ مـاـ بـقـىـ الـزـمـنـ.

لـيـسـ الـعـيـبـ أـنـ تـحـبـ الـرـياـضـةـ وـنـسـتـمـعـ بـالـمـبـارـيـاتـ، لـكـنـ لـتـبـقـ الـقـلـوبـ مـشـرـعـةـ لـلـشـعـرـ، وـالـعـقـولـ مـشـتـعـلـةـ بـالـفـكـرـ.

فـلـتـكـنـ الـمـيـادـيـنـ مـتـنـقـدـةـ بـالـحـمـاسـ، لـكـنـ لـتـبـقـ الـقـلـوبـ مـشـرـعـةـ لـلـشـعـرـ، وـالـعـقـولـ مـشـتـعـلـةـ بـالـفـكـرـ.

فـفـيـ تـواـزنـاـ بـيـنـ الـتـرـفـيـهـ وـالـمـعـرـفـةـ، نـضـمـنـ بـقـاءـنـاـ أـمـةـ نـاطـقـةـ بـالـجـمـالـ، مـتـمـسـكـةـ بـجـذـورـهـاـ، سـامـقـةـ فـيـ سـمـاءـ الـإـبـدـاعـ.

أحمد القاري